

## تربية

الإستقلالية الذاتية عند المراهقين مشروع أزمته مع الأهل  
تفهم طموحات المراهق، يمنع تمرّده على الوالدين

استحقاق المراهقة الصعب هو في تمكن المراهق من تحقيق استقلاليته الذاتية التي يجب ان يتهيأ لها منذ ايام الطفولة، وذلك بالاعتیاد على القيام باموره الشخصية بمفرده وعلى مصارحة اهله بما يجب. هذا الانفتاح من الاهل يتبدل ببلوغ طفلهم سن المراهقة. في حال تحلوا بالوعي سيمنحونه جزءا من استقلاليته الذاتية، وسيجعلونه صاحب شخصية قادرة على مواجهة الحياة



المدير السابق لكلية العلوم الاجتماعية في الجامعة اللبنانية - الفرع الثاني الدكتور طوني جرجس.

مطالبة المراهق باستقلاليته الذاتية مشروع ازمة ومعاناة لكل اسرة. مع هذا الواقع لا حل امام الاهل سوى منحه الثقة ولو جزئيا، لانه في حال لم يحصل على استقلاليته الذاتية سيتجه نحو ممارستها في الخفاء بلا حدود، ليصل الى ما هو اخطر من سلبات الظواهر الاجتماعية التي صنعها بسلوكه سابقا. أي رفض يتلقاه من اهله سيدفعه نحو فعل انتقامي يعتبر ردا على تقصيرهم تجاهه، علما ان لدى المراهق افكارا خطيرة يسعى الى تنفيذها في حال لم تتم مراعاته. هناك طريقتان لحل هذه الازمة، الاولى سعي الاهل الى اقامة حوار هادئ مع اولادهم بعد بلوغهم سن المراهقة. الثانية تغليب العاطفة

على علاقتهم بهم لان ما يحدث مع المراهق من تغييرات جسدية ونفسية وعاطفية يجعله اكثر حاجة الى حضور اهله في حياته. اهمية الاستقلالية الذاتية عند المراهقين وما يعترضها من عقبات، يتحدث عنها المدير السابق لكلية العلوم الاجتماعية في الجامعة اللبنانية - الفرع الثاني الدكتور طوني جرجس في حديث الى "الامن العام".

كيف يكتسب المراهقون استقلاليته الذاتية؟

يكتسبونها بالممارسة والتعاطي المباشر مع رفاقهم المراهقين، او من خلال وسائل التواصل الاجتماعي. هذه الاساليب يلجأ اليها المراهق

في حال تقاعس الاهل عن لعب دورهم في هذا المجال. وان كان العكس سيكون تحقيق استقلاليته الذاتية على يد اهلهم مدخلا الى المحافظة عليها بوضع حدود معينة لها.

هل الاستقلالية الذاتية تمنح ام يكتسبها المراهق شخصيا؟

كلا، لا تكتسب، بل يمنحها الاهل لابنائهم. في هذه المسألة جوانب اود توضيحها. لا تبدأ الاستقلالية الذاتية ببلوغ الطفل سن المراهقة، بل في مراحل الطفولة، كونها نمط حياة يتبعه منذ صغره على ان يستكملة ببلوغه سن المراهقة، مع اختلاف الامور، طبعاً، بين المرحلتين. رغم هذا الاختلاف يبقى مبدأ الاستقلالية الذاتية هو نفسه في المرحلتين، في الطفولة والمراهقة معا. عندما يطلب الاهل من طفلهم بعد بلوغه الثالثة او الرابعة من عمره القيام باموره الشخصية بمفرده، كغسل يديه وارتداء ثيابه واختيار الحذاء الذي يفضله، او الالعاب التي يحبها، او التحدث عن الرفاق المفضلين لديه، تكون هذه الخطوات تهيئة طفلهم لاستقلاليته الذاتية ضمن الاطار الذي يفهمه. لكن بوضوح الى سن المراهقة سيختلف اسلوبه وممارساته. في عالمه الجديد سيطغى عليه طموحه الشخصي ورغبته في بناء علاقات اجتماعية كما يريد، هو لاثبات شخصيته من خلالها. هناك ظاهرة انتشرت كثيرا في السنوات الاخيرة هي "ظاهرة النرجيلة" التي ننظر اليها كعلماء اجتماع بطريقة مختلفة عن اصحاب الاختصاصات العلمية الاخرى. بدلا من وصفهم بـ"الزعران ويجب ضبضبتهم" نرى في المشكلة نوعا من الهرب من سلطة معينة ليكون تدخين النرجيلة "فشة خلق". الامر نفسه ينطبق على ركوب الدراجات النارية، خصوصا اذا كانت مستأجرة او مستعارة من احد الاصدقاء. كل هذه الاساليب تكشف عن رغبة المراهق في اثبات ذاتيته في امور يقوم بها في السر او العلن، من اجل اثبات قدرته على القيام بامور من تلقاء نفسه.

كيف نصف وضع المراهقين الذين يعيشون استقلاليتهم الذاتية في الخفاء؟

في الامر خطورة، خصوصا اذا لم يعد لهذه الاستقلالية حدود. عند الوصول الى هذه المرحلة سيعيش المراهق حالات اخطر بكثير من سلبات الظواهر الاجتماعية التي صنعها بسلوكه، وذلك بتعاطي المخدرات وبناء علاقات جنسية، وربما قد يصل به الامر الى السرقة من اجل تأمين ثمن المخدرات التي بدأ يتعاطاها. تداركا لهذه المشكلة، على الاهل اتباع توجيه معين يتماشى مع اولادهم المراهقين، هدفه اعطاء ابنائهم جزءا من استقلالية ذاتية مع جزء من ثقة موضوعة تحت المراقبة الى ان يثبت المراهق جدارته بها. في الواقع، معاناة المراهقين في هذه المرحلة العمرية هي في منعهم من بناء علاقات خارج اطار العائلة وعدم مغادرة المنزل بناء على طلب اهلهم، ليصبح المكان الذي يعيشون فيه اشبه بسجن. شروط كهذه لن ينفذها المراهق وسيتمرد على سلطة الاهل الى حد ترك المنزل. هناك امثلة عدة عن مراهقين تمردوا على السلطة الابوية ويعيشون منذ فترة المراهقة بعيدا من اهلهم. خطورة هذه المرحلة هي في الاكتشافات التي قد يجد المراهق فيها لذة معينة، فيستمر في اعتمادها. لذا، نرى اضرار العيش باستقلاليته الذاتية في الخفاء كبيرة جدا، لكن في حال تعرف الى اشخاص ناضجين خارج بيئته العائلية سيكون الامر ايجابيا بالنسبة اليه.

من اين تبدأ الاستقلالية الذاتية عند المراهق واين تنتهي؟

تبدأ، من الناحية الفكرية، بأن كل شيء مباح له في الحياة، بالمعنى الايجابي طبعاً، وتنتهي لدى شعوره بان هناك ضرا عليه او على الاخرين.

من يحدد مفهوم الاستقلالية الذاتية ومعاييرها عند المراهق، ومن يضبطها؟

الاهل وبما يتمتعون من وعي ونسج. نسبة الامية قد تراجعت كثيرا في لبنان، ما يعني اطلاع الاهل على ما هو جديد اصبح اكثر اتساعا من قبل، اضافة الى التفاعل الاجتماعي الملحوظ لديهم. اما في حال لم يكتسب الاهل المعرفة الكافية في شأن تعاطيهم مع ابنائهم المراهقين فسيكتسبونها من علاقاتهم الاجتماعية. ترجمة هذا الوعي يعبر ◀

## المقال

## إنها أزمته ثقة

مهما اختلفت التسميات او تعددت، نرى في سن المراهقة لقاء مع الحياة، ينتظره من يودع طفولته بلهفة المشتاق الى حياة لم يرها من قبل. لذا، تتطلب هذه المرحلة دقة في التعامل مع من يعيش شغفا بجعل احلامه واقعا.

من هذه الزاوية يحمل سن المراهقة خطورة اذا لم نحسن التعامل مع ابناء هذه المرحلة العمرية، باعتبارها مرحلة القلق والصراع الاشد مع النفس من جهة، ومع الاهل من جهة ثانية، من اجل ان يكسب المراهق استقلاليته الذاتية كحق من حقوقه الموعود بها مذ كان طفلا.

نعلم في هذا المجال ان لكل عائلة موروثها الثقافي التي تحرص على عدم مسه كميزة من ميزات الشخصية، خصوصا ما يتعلق منها بالمحظورات التي توارثتها الاجيال بشكل ابقي باب التطور موصدا في وجهها، رغم تجاوب الناس بسرعة مع كل تطور، خصوصا في المظاهر الخارجية، شرط ان لا يخرق هذا التغيير جوهر الافكار العتيقة المتنقلة من جيل الى جيل، لتتحول المشكلة بين الاهل وابنائهم صراعا حول الافكار، وبالتالي صراعا حول الوجود.

اي سوء تفاهم بين المراهق واهله حول حقه في عيش استقلاليته الذاتية ام لا، تعود اسبابه الى الموروث الثقافي الذي يميل على الناس اقتناعاتهم وخياراتهم. فاذا كان هذا التزمتم سيؤدي الى خسارة الابناء في مرحلة دقيقة جدا من عمرهم هم احوج فيها الى ما يشبه حضانة الاطفال، اليس من الاجدى بنا تقديم القليل من الانفتاح والكثير من العاطفة لكي نحمي المراهق من رغباته، ومن افكاره المتهورة، ومن ردود فعله على واقع جعله صانع الظواهر الاجتماعية بامتياز.

كل تعقيدات العلاقة بين المراهق واهله مرتبطة بعاملين اساسيين، هما العاطفة والثقة، ما يدفعنا الى التساؤل عن الاسلوب التربوي المتبع عند الاهل، خصوصا في مرحلة الطفولة كمرحلة تحضيرية للمراهقة، سنجد في اختلاف الاسلوب التربوي اختلافا في شخصية كل مراهق في مسألة انفتاحه على الحياة وعلى الاخرين. لهذا السبب نجد مراهقين انطوائيين على انفسهم واخرين منطلقين نحو الحياة.

لكن ما سر هذا التناقض بين النموذجين، علما ان الامر يعود الى اختلاف الاسلوب التربوي المتبع عند كل عائلة؟

في هذا المجال هناك مقولة تعبر عن هذا الواقع ويردها الناس كثيرا قائلين: "هيدي العيلة ربحت ولادها". اما كيف؟ فبالانفتاح عليهم ومصالحتهم مع انفسهم قبل الحياة، لان ابن هذه المرحلة العمرية يجهل نفسه والعالم الذي اصبح في وسطه، من دون دعائم يستند اليها في معركة حصوله على استقلاليته الذاتية، فيما العائلة تعيش ازمة ثقة.

مؤسف ان تبقى مشكلات الاهل والابناء، خصوصا المراهقين حتى يومنا هذا، وتحديدا بعد ازدياد حالات الانحراف عند ابناء هذا الجيل، وبشكل اخص تفاقم المشكلات النفسية عند الشباب. خطورة هذه المشكلة في بداياتها التي تعود اما الى مرحلة الطفولة او الى سن المراهقة، علما ان العلاج النفسي يرتكز على احداث هاتين المرحلتين المهمتين، خصوصا العاطفية المرتبطة بنوعية علاقة الطفل او المراهق باهله. كما يكون هذا المخزون يكون الابناء.

دينيز مشنتاف

denise.mechantaf@gmail.com

# النجوم لعل ضوء يكفيك

ميدغلف هي دائماً في خدمتك لتلبي كافة إحتياجاتك في ما يتعلّق ببرنامج التأمين الخاص بك. مجموعة متنوعة وغنيّة من الخدمات توضع في متناولك في هذا المجال. إنّ مسؤولي خدمة العملاء لدينا ذوي الخبرات العالية، متوفّرون دائماً لخدمتك وتزويدك بكافة المعلومات التي قد تحتاجها.

01 - 985000

LEBANON - KSA - BAHRAIN - UAE - JORDAN - EGYPT

WWW.MEDGULF.COM

علما ان من مشكلات هذه المرحلة العمرية هي التلاقي بأشخاص من خارج العائلة لا يعرف ماذا ينسجون من افكار حول مسائل الحياة، خصوصا المتعلقة بسن المراهقة. لذا، ادعو الاهل الى عدم منح الثقة المطلقة للمراهق من دون التأكد من ممارساته في شأن هذه الثقة. فلا ننسى ان لدى المراهق افكارا خطيرة يسعى الى تنفيذها في حال لم تتم مراعاته.

■ كيف يستعيد المراهق مكانته الاجتماعية في حال لم ينجح في تحقيق استقلاليته الذاتية؟  
□ من الضروري هنا خضوعه لعلاج نفسي. الهدف منه مساعدته على تكوين شخصيته. مهما تساءلنا عن فعالية هذا العلاج ونجاحه، علينا عدم تجاهل هذه المشكلة بترك المراهق وحيدا من دون علاج. ما من فرد لا يريد استقلالية ذاتية لنفسه، لكن هذه النزعة تحتاج الى من يوجهها عند المراهقين.

■ الى اي مدى تساهم الاستقلالية المادية في تحقيق الاستقلالية الذاتية للمراهق؟  
□ تساهم جزئيا وليس كليا. المراهق الذي يحصل على مصروفه الشخصي من اهله هل نعتبره شخصا استقلاليا؟ طبعا لا. في المقابل ثمة مراهقون انخرطوا باكرا في سوق العمل وحققوا بذلك استقلالية مادية، لكنهم في مشكلة، عائليا ومعيشيا وشخصيا، بسبب انخراطهم في العمل باكرا.

■ اي سلبيات تحملها المراهقة كتحويل جذري في حياة الانسان؟  
□ هذه السلبيات هي في عدم مراقبة تطورات المرحلة التي قد تذهب بالمراهق الى حافة الخطر.

■ ما هي الخطوات التي من الواجب اتخاذها للحد من مشكلات عمر المراهقة، واي جهة هي المؤهلة للعب هذا الدور؟

□ لم يعد دور الاهل متاحا الا عبر وسائل الاعلام، وذلك ضمن برامج اجتماعية معنية بهذه المشكلات وليس بسرد الحكايات الشخصية. هنا ينبغي ان تخصص في هذه البرامج فقرات الزامية ثابتة تعرض مرة شهريا وفي وقت محدد على كل المحطات التلفزيونية، يعتمد فيها على الارشاد والتوجيه والتوعية.

د.م.



الاستقلالية الذاتية تمط حياة يبدأ في الطفولة وليس في المراهقة.

التعنيف الذي مورس ضدّهم في الصغر مع افراد عائلتهم، مع الزوجة والابناء كرد فعل على ماضيهم. هذه الفئة من المراهقين هي اما ضحية "عقدة اوديب" او ضحية تعنيف الاهل. المخرج الوحيد من هذه الازمة هو في اقامة حوار هادئ بين الاهل وابنائهم، مع تخصيص وقت لهم وعدم تركهم بمفردهم في المنزل. ما يحصل لهم من تغيرات جسدية ونفسية وعاطفية تجعلهم اكثر حاجة الى حضور اهلهم في حياتهم.

■ هل يعتبر تحقيق الاستقلالية الذاتية مشروع ازمة بين الاهل والمراهق؟

□ طبعا، كل اسرة تعاني من هذه المشكلة وذبولها الى حد التعب منها. لكن بتصويب تطلعات المراهقين من خلال منحهم الثقة ولو جزئيا يتخطى الاهل هذه المشكلة، والا سيكونون في ازمة حتما.

■ في حال اتخذ الاهل موقفا رافضا لعيش اولادهم استقلاليتهم الذاتية، اي موقف سيترب على المراهقين؟

□ مع هذا الرفض سيستجمع المراهق افكاره قبل الاقدام على انتقام ما يعتبر ردا على تقصير اهله في حقه. لكن في حال غلبت العاطفة، فان ذلك سيجعله يشعر بالاهتمام الكبير من اهله، وبأن الوقت اصبح مخصصا له وسيحصل على اجوبة عن تساؤلاته. اما اذا لم تتحقق هذه الخطوة فسيحصل على الاجوبة التي يبحث عنها من اشخاص لا تعرف الى اين سيتجهون به فكريا.

■ عنها بوضع حدود للمراهق للتصرف ضمن اطارها. فاذا اعتاد على هذا السلوك لن تحصل مشكلة. لكن اذا حدث العكس فسيصارع لنيل مكتسبات اكثر. علما ان للمدرسة دورها في مسألة مفهوم الاستقلالية الذاتية ومعاييرها عند المراهق، لكن من باب النظريات وشرحها ومن باب التقيد بالنظام والمحافظة عليه. في حال اعتاد على التقيد بالنظام المدرسي، سيكون ذلك عاملا مساعدا للاهل. هناك مؤشرات يستدل منها على بدء شعوره بحاجته الى استقلاليته الذاتية، ويختصر ذلك بالبداية بالمطالبة سعيا وراء تحقيق طموحه الشخصي.

■ في اي عمر تبدأ هذه المطالبة؟  
□ في الثانية عشرة او الثالثة عشرة وفق القدرات الذهنية لكل مراهق. علما ان الاستقلالية الذاتية غير مرتبطة بعمر معين، فوسائل الانترنت المتوافرة للاطفال وليس للمراهقين فقط جعلتهم اكثر معرفة من اهلهم.

■ اذا لم يحقق المراهق استقلاليته الذاتية اي مشكلات سيواجه؟

□ سيعاني من التبعية ومن فقدان حس المبادرة الشخصية، ومن انعدام الطموح والاندفاع. بالوصول الى هذا الحد في المشكلة، لا حل امام الاهل سوى تفهم ابنائهم المراهقين والافتناع بأن استقلاليتهم الذاتية يجب ان تتم، وبان تعنيفهم سيرافقهم ذهنيا طوال حياتهم، وسيمارسون